كل أحد يحب الحياة ويكره الموت ، وكذلك الحكم في الآية [١].

فالدلالة – إذا – وليدة الصياغة ، دون إغفال لطبيعة السياق وحيويته ، ودون إغفال لطبيعة الموقف الاجتماعي ، ففي قوله تعالى : ﴿ ولكم في القِصاصِ حَيوة ﴾ حسن التنكير نتيجة للمقام الذي أحاط بالصياغة ، أو الذي جاءت الصياغة لتصب فيه قيمها الدلالية ، فالمعنى ليس المقصود به الحياة نفسها ، ولكن العلاقة القائمة بين الناس في إدراكهم أنه إذا قَتَلَ الإنسانُ قُتِل ، ارتدع بذلك ، فجاءته السلامة ، وصارت حياة هذا المهموم بقتله في مستأنف الوقت مستفادة بالقصاص ، وصار كأنه قد حيا في باقي عمره به ، أي بالقصاص .

ولو عزلنا الآية عن السياق الدلالي الأعم لأدى ذلك إلى غير المقصود ، حيث يتأتى تعريف (الحياة) وينتج ناتج دلالي مفاده أن الحياة كانت بالقصاص من أصلها ، وأن يكون القصاص سببًا في كونها في كافة الأوقات ، وذلك خلاف المقصود .

بل إن طبيعة الموقف الاجتماعي والنفسي تؤكد أنه لا يكون ارتداع حتى يكون همٌّ وإرادة ، فليس بواجب أن لا يكون إنسان في الدنيا إلا وله عدو يهم بقتله ثم يردعه خوفُ القصاص ، وإذا لم يجب ذلك ، فمن لم يهم بقتله فكفى ذلك الهم لخوف القصاص ، فليس هو ممن حي بالقصاص ، وإذا دخل الخصوص فقد وجب التنكير لا التعريف [٢].

وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لإدراك الدلالة ، فإنه يحتاج أيضًا إلى

(١) الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص ٢٨٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ .